حائط مصر الشرقى يعود من جديد

اول امس تسلمت مصر بموجب اتفاقية السلام القسم الخامس من سيناء الذى يأتى فى ختام المرحلة الفرعية الاولى التى تصل الى خط [العريش ـ راس محمد] من الشمال الى الجنوب ، وبما يشكل نحو ثلثى المساحة الكلية لشبه جزيرة سيناء [٦٠ الف كم مربع] .

وهكذا فان مصر بموجب نفس الاتفاق تحرك قواتها المسلحة لتحتل هذا الخط القسم الصحراوى تماما ، مسلحة تسليحا حديثا يناسب القتال فى ذلك الحيوى بقوات ميكانيكية درست نوعياتها وتسليحها دراسة دقيقة وفى ضوء سمات معارك الاسلحة المشتركة على النحو التالى :

٢٢ الف مقاتل ـ ٢٥٢ مدفع هيدان ومضادا للطائرات ـ ٢٣٠ دبابة ـ ٤٨٠ مركبة قتال مدرعة .

ولعل اهم ما يميز ذلك القسم الخامس الذى تستعيده مصر ، هو احتواؤه على خط الممرات الضايق ، الحاكم فى سيناء ، ذلك الخط الدامى الاستراتيجى الطبيعى الذى تتميز به طبوغرافية شبه الجزيرة والذى تتربع مبه ممرات (رمانة ـ الجنينة ـ الجدى ـ متلا ـ سدر من الشمال الى الجنوب على التوالى .

وتتركز اهمية هذا الخط الاستراتيجى الحاكم فى كونه يمثل الخط الدامى الرئيسى من الدنا ومصر كلها من جهة الشرق ، حيث يتحكم على اى قوة مهاجم مصر ان تعبر احد هذه المضايق ، باعتبار ان التحرك خارج تلك الممرات الجبلية يعد بالفعل ضربا من المستحيل

ان نظرة متانية الى كافة الحملات الحربية التى هاجمت مصر من الشرق على مر العصور ، لتعطينا برهانا لايدحض على صحة هذا القول ، الامر الذى حدا بحكام مصر القدامى الى اقامة الحصون والقلاع بالقرب من تلك الممرات الحاكمة لرد الغزاة الطامعين الذين حاولوا فى مختلف العصور غزو مصر من الشرق .

ولما كانت لسيناء اهمية استراتيجية عظمى بالنسبة لمصر ، حيث تعتبر مفتاحا لجميع الطرق الموصلة بين دلتا النيل الخصبة والاردن وفلسطين والحجاز ، الى جانب كونها المعبر الشرقى لمصر ، فان ممرات سيناء الجبلية تعد بمثابة مفاتيح سيناء مثلما تعد باب الدخول الى مصر من الشرق على السواء ، حيث ان جميع الطرق الصالحة للتقدم من الشرق تنتهى بالضرورة او تعبر احد الممرات الاستراتيجية وذلك على النحو التالى ،

١ ـ الطريق الشمالى [غزة ـ العريش ـ القنطرة] ويقطعه حاجز رملى شمال والذى تحده كثبان الرمال القاحلة غربا وبحيرة البردويل شرقا .

٢ ـ الطريق الاوسط [ابوعجيلة ـ الاسماعيلية] ، والذى يمر بمضيق

ممر الجدى .. احد المواقع الاستراتيجية الذى يقطع الطريق الجنوبى بسيناء ..

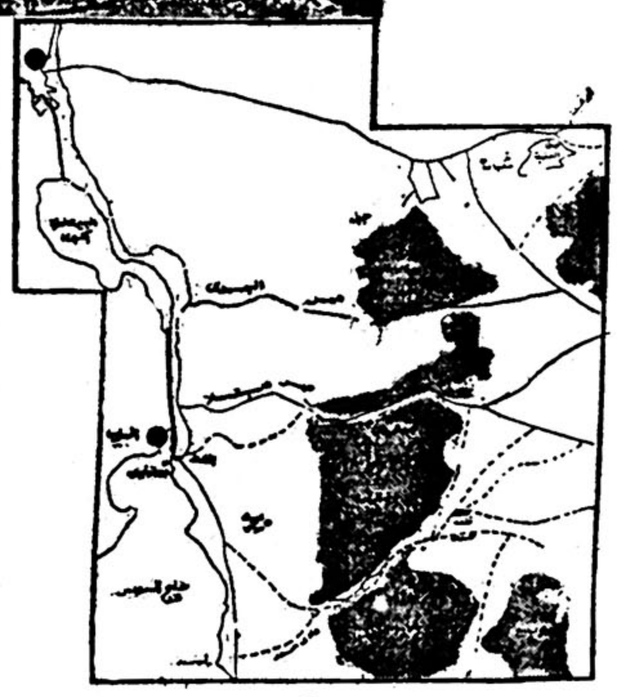

منطقة الممرات الجبلية الحاكمة فى سيناء

دراسة للمؤرخ العسكرى :
محمد فيصل عبد المنعم

الخنيمة الذى يحده جبل الخنيمة والمرود الرملية المتحركة .

٣ ـ الطريق الجنوبى [نخل ـ شرق البحيرات] ويقطعه ممر متلا ـ ممر الجدى الذى ينتهى عند الكيلو ٢١ : على طريق قناة السويس .

٤ ـ الطريق الجنوبى [نخل ـ الشط] ، ويقطعه ممر متلا ـ اهم واشهر الممرات فى سيناء وبطل حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . وينتهى عند علامة الكيلو ٩٠ : شمال السويس ، ويتفرع منه مدق الى ٢ الشط : على خليج السويس .

من هنا يبدأ الدفاع عن مصر

ويعنى ذلك بوضوح ان قيمة القناة ـ كخط دفاعى ـ انما تستمد فى الواقع من قيمة خط الممرات الحاكم ، فان الدفاع الحقيقى فى الغرب من مصر ويدلنا النيل انما يبدأ فى الحقيقة هناك فى الشرق على خط الممرات الحاكم فانه بوابة مصر ومفتاحها .

وهكذا نقترب من تلك المفاتيح . الممرات الحاكمة .. فى محاولة جادة للتعرف عليها ، بعد قيمة من الوطن الام طالت حتى قاربت الثلاثة عشر عاما

ممر متلا

يمتد المدق الجنوبى من نخل : شرقا حتى يصل الى الشط غربا على مسافة ١٢٠ كيلو مترا من نخل : ويعبر المدق فى ارض تختلف طبيعتها وتتباين تربتها بين الارض السهلة والمرتفعات الجبلية الوعرة والكثبان الرملية ، وتنقسم هذه المسافة الى ٣ مناطق متميزة تختلف طبيعة كل منها عن الاخرى على النحو التالى ،

١ ـ الاراضى السهلة من نخل حتى صدر الحيطان : وطولها نحو ٦٠ كيلو مترا

٢ ـ الاراضى الرملية وتمتد من مدخل ممر متلا الغربى حتى الشط وطولها نحو ٣٠ كم .

٣ ـ الاراضى الوعرة وتشمل مضيق ممر متلا والمرتفعات الواقعة على جانبيه وطولها نحو ٣٠ كم .

وتنبسط الارض حول منطقة نخل : لتستمر كذلك كلما اتجهنا غربا ، والمدق عبر هذه المنطقة يعتبر سالكا للسير تماما ، ويقطعه عدد من الوديان الممتدة من الجنوب الى الشمال والتى تبدأ من السفوح الشمالية لهضبة التيه وتنصب فى وادى العريش ووادى المويلح ، اما فى الجنوب ، فتتكمش مساحة الارض المنبسطة وتتدرج فى الارتفاع كلما اتجهنا جنوبا لتشكل السفوح الشمالية لمرتفعات جنوب سيناء التى تبلغ ذروتها فى منتصف منطقة جنوب سيناء عند جبل سيناء كاترين [٢٦٣٧ مترا فوق سطح الارض] .

وما ان يقترب المدق من منطقة صدر الحيطان ، حتى تبدأ الارض فى اتخاذ شكل جديد ، حيث تتكمش الاراضى المنبسطة وتضيق مساحتها كلما اتجهنا غربا واقتربنا من المدخل الشرقى لممر متلا الى ان تنعدم الارض المنبسطة المفتوحة لتبدأ سلسلة من المرتفعات الوعرة الصعبة وتلتقى تلك مجموعة من المدقات المتجهة غربا الى الشط وشرقا الى نخل وشمالا بشرق الحسنة وكلها تصلى على المنطقة اهمية تكتيكية خاصة ، وتجعل لعقدة المواصلات الواقعة فى قلبها تهيؤات شأن ، اذ يتوقف لمن ينجح فى التحكم فيها السيطرة على مجموعة المرتفعات العالية المشرفة عليها تماما ، والواقعة اساسا الى الغرب والجنوب من تقاطع الطرق والتى تمثل مدخل ممر متلا من الشرق ، اما منطقة التقاطع ذاتها فتكاد تكون خالية من المرتفعات .

اما ممر متلا فهو مضيق وعر يمر بين مرتفعات ام خشيب فى الشمال ومرتفعات الراحة فى الجنوب . ويمتد طوله نحو ٢٠ كيلو مترا من مدخله الشرقى عند قبة النصب التذكارى « باركر » حتى بداية الطريق الاسفلت عند المدخل الغربى للممر وعلى مسافة نحو ٣٠ كم من السويس .

ويمثل ممر متلا عنق زجاجة على طول امتداده حيث لايمكن الانتشار خارج الطريق [اقصى عرض له ٥٠ مترا فى بعض المناطق] والذى يتميز بوجود المرتفعات الحادة فى معظم اجزائه مما يحد الرؤية الى حد بعيد ، كما يستحيل التحرك خارج الطريق الواقع بين سلسلة الجبال من الجانبين لاية قوة ميكانيكية او مدرعة ، فى حين يعتبر الطريق ذاته صالحا للسير عليه بكافة انواع الحملات المكانيكية .

خطوط دفاع لمصر

اما بالنسبة لممر الجدى ، والذى يقطع طريق « نخل » ـ شرق البحيرات ، وينتهى بالقرب من الشط ـ فالمنظر لممر عبر ارض رملية منبسطة فيها بعض المرتفعات الرملية الصغيرة التى يندرج الممر حولها فى مساره ، ويبلغ هذا الممر بين خط رفيع بين المرتفعات الى نحو ٥٠ مترا ، وفى بعض اقسامه يتسع حتى ٥٠٠ متر ، لينتهى عند علامة الكيلو ٥٧٠ ، وبذلك يبلغ طوله حوالى ٢٧ كيلو مترا .

ممر وادى صدر

الى الجنوب من ممر متلا ، يبدأ مضيق وادى صدر ويرتفعات الراحة ويبدأ مدق وادى صدر من منطقة « جبل الحسن » الواقعة شرقى تقاطع صدر الحيطان بمسافة ١٢٠ كم على الطريق الى « نخل » ، ثم يتجه المدق الى الجنوب الغربى مارا براس الجدى ثم يستمر وادى صدر حتى يصل الى حقل البترول فى راس سدر على الساحل الشرقى لخليج السويس جنوب شرق الشط بنحو ٤٠ كم ، ويبدأ مضيق وادى سدر من الشرق عند « قمارة الجندى » بطول ٢٥ كم ، والمضيق وعر فى معظم اجزائه ، اما منطقة راس سدر « على ساحل الخليج » فتعتبر ذات اهمية حيوية لطريق « الشط ـ شرم الشيخ » حيث تشكل الباب الخلفى لشرم الشيخ وتعتبر منفذها الوحيد الى السويس

قلعة صلاح الدين فى سيناء

لقد ادرك الناصر صلاح الدين تلك الاهمية العظمى لهذه السلسلة الجبلية الحاكمة من اجل الدفاع عن مصر وتأمينها فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فقام بتشييد قلعته البلدية لتارها حتى الان فوق « راس الجندى » المنيعة والتى تشرف على الارض من حولها لمسافات شاسعة « عام ١١٨٧ م » بغرض القضاء على قرصنة الصليبيين فى البحر الاحمر ، بعد ان استولى امير الكرك « بشرق الاردن الحالية على خليج العقبة وميناء « عيذاب » المصرى المقابل لميناء جدة ، وجعلها مقرا للاغارة على مصر ، وبعد ان قضى الاسطول المصرى على اساطيل الصليبيين فى البحر الاحمر ، اقام صلاح الدين قلعة رأس الجندى لتأمين حدود مصر الشرقية وتهديد اجناد الصليبيين فى حال محاولاتهم مهاجمة مصر مرة اخرى .

الاهمية العسكرية للمضايق

سلف القول بأن من يتحكم فى المداخل الشرقية للممرات الحاكمة فى سيناء ـ والتى استردتها مصر فى ٢٦ يناير ١٩٨٠ ـ يكفه تأمين دلتا مصر والقاهرة من اى عدوان قادم من الشرق بأقل القوات وبأعظم فاعلية فى الوقت ذاته ، فان ضيق الارض فى تلك الممرات الجبلية لا يسمح بالمناورة او الحركة خارج الطرق مما يجبر اى قوة تتحرك داخلها على التقيد بهذه الطرق ويحوق تصرفها السريع ، كما يحرمها من القدرة على العمل بحرية .

ويترتب على ذلك ان تصبح اى قوات تتحرك داخل الممرات الجبلية ، فى حال تعرضها للهجمات الجوية ، صيدا سهلا يمكن ايقاع اندح الخسائر به وذلك لوجودها فى منطقة محدودة سهلة بالنوية تحد من حركتها وقدرتها على المناورة والانتشار وتحيلها الى هدف سهل لنيران الطيران المعبر

من جهة اخرى ، فان ضيق الارض مع كثرة المرتفعات الواقعة على جانبى المر وعلى طول امتداده : يجعل منع واستخدام المدفعية للاشتباك ضد الاهداف المعادية امرا يصعب تنفيذه كما ان كثرة المنخفضات تحد من ميادين النيران ومجالات الرؤية الى درجة كبيرة مما لا يتيح فرصا مناسبة لاستخدام الاسلحة المختلفة بكفاءة وتأثير وبالمثل يصعب امداد القوة المهاجمة بما يلزمها من المواد والذخيرة ، كما ان اخلاء الجرحى والمعدات المصابة للخلف يعرض الافراد لخسائر فادحة بالنظر لتعطر تحركهم من والى مواقعهم عبر مناطق محدودة او ممرات مأمونة .

الدور الهام للممرات

لقد لعب خط الممرات الحاكم فى سيناء دورا بالغ الاهمية فى الحولتين العسكريتين مع اسرائيل فى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، حيث قامت القيادة العسكرية الاسرائيلية عشية حرب ١٩٦٧ باسقاط الكتيبة ٨٦٠ المظلية بقيادة الكولونيل « آمداك » ارييل شارون عند صدر الحيطان على المداخل الشرقية لممر متلا ، وذلك قبل ان تلحق بها القوات البرية الرئيسية عبر شبه جزيرة سيناء ، الامر الذى هدد وقطع خطوط مواصلات القوات المصرية التى كانت فى مواقعها شرقا فى سيناء فى ذات الوقت الذى هدد فيه خطوط تراجع تلك القوات المصرية فى ربع والعريش ووسط سيناء تجاه الشرق بعد ان اتضحت للقيادة المصرية ابعاد التآمر الثلاثى بين اسرائيل وكل من بريطانيا وفرنسا آنذاك .

مطرقة ضخمة لقواتنا

اما فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، فقد صممت القيادة العسكرية الاسرائيلية الى ضرب مجموعاتها القتالية المدرعة الرئيسية على محاور سيناء الثلاثة التى تتمتع جميعها ـ عبر خط الممرات الحاكم ، بحيث يتم حجز القوات المصرية التى امرت بالانسحاب غربا عند هذا الخط الحيوى الذى يمكن ان نشبهه بالسندان ثم العمل على الاجهاز على تلك القوات بالمطرقة التى مثلتها مدرعات المجموعات القتالية الثلاث للجنرالات « طسال » « وشارون » و « يوابه » من الشمال الى الجنوب على التوالى .

وهكذا مثلت تلك المجموعات المدرعة التى تقدمت عبر محاور سيناء الثلاثة المطرقة الضخمة التى قامت بتوجيه الضربة الى التجمع الرئيسى للقوات المصرية فى سيناء انذاك . والتى وجدت نفسها ـ بعد ان وصلتها اوامر الانسحاب من القاهرة ـ فى مأزق بالغ الحرج لتعرضها للقصف الجوى ليل نهار طوال مترة تحركها الى الغرب ولبئم تدميرها بعد ذلك عند وصولها الى خط الممرات الحاكم فى الغرب . والذى لا طريق سواه لعبور سيناء من الغرب او الشرق على السواء : بعد ان كانت القوات المدرعة الاسرائيلية قد سبقتها الى هناك فى معظم الاحوال